من هى أم المماليك ؟!

إنها السيدة نفيسة المرادية ، زوجة على بك الكبير ، الرجل الذى انتزع استقلال مصر كاملا من براثن الحكم العثمانى الغاشم ، قبل أن يولد محمد على الكبير .. إنها تلك الجارية الجميلة التى أصبحت بثقافتها وعلمها وذكائها ، سيدة مصر الأولى فى ذلك الحين ، حتى إنه فى عهد الحملة الفرنسية ، كان قصرها ملتقى العلماء وزعماء الشعب ، وفيه توضع الخطط ، وتدبر حركات رجال المقاومة ضد العدو الفرنسى المحتل ..

ولفرط عظمتها ونفوذها ، كان الحكام الجدد الذين يرقون إلى مناصبهم من قِبَل الدولة يفدون إلى قصرها ـــ بصفة شخصية ـــ قبل تسلمهم زمام أعمالهم ؛ ليقدموا لها فروض الولاء والإجلال ، ويتلقون التوجيهات منها كأم وكزعيمة .. وكانت دائما توصيهم بالعدالة بالنسبة للشعب ..

ومن أدوارها الوطنية البارزة إبان الحملة الفرنسية أنه كان لها « صالون » اجتماعى أدبى ، يجتمع فيه علماء الحملة الفرنسية وقوادها فتمنحهم العطايا وتجزل لهم الهدايا ؛ لتعرف المزيد من تحركات الجيش الفرنسى وخططه ، لتمد بها رجال المقاومة المصريين ، رغم أزمتها المالية !!

وبعد جلاء الجيوش الفرنسية ، وبعد أن آل الأمر إلى محمد على باشا عام ١٨٠٥ ، هال ذلك الحاكم ما تتمتع به السيدة نفيسة من نفوذ أدبى بين أفراد الشعب ، فأمعن فى إيذائها وصادر أملاكها ، ولكنها مع ذلك لم تُحْنِ هامتها ، وظلت مرفوعة الرأس .. بل أبعد من ذلك ، ظلت كما كانت دائما ، ملاذاً للمظلومين من أبناء الشعب ..

ويكفى دليلا على مكانة هذه المرأة فى قلوب الجميع من وطنيين أو فرنسيين ، أنه لما عاد نابليون إلى فرنسا ، وأصبح إمبراطور فرنسا العظيم ، لم تنسه مشاغل الإمبراطورية أن يكلف سفيره فى مصر للعناية بشئون أم المماليك ، وتوصية محمد على باشا بشأنها .

وتلك لعمرى أروع الدلائل على تأثير هذه المرأة الخالدة ، حتى على أصحاب العروش فى أوربا ..

دار العرب للبستانى

٢٨ شارع كامل صدقى بالفجالة